يتناول هذا الفصل التدريس وطبيعته، وعددا من الأساسيات اللازمة لتدريس التربية الإسلامية لكى يتحقق الهدف منها، وفيما يلى بيان لهذه الأساسيات:

١ – التدريس وما يتوقع منه :

هناك تعريفات متعددة لهذا المفهوم ، منها أنه نشاط يستهدف تحقيق التعليم ، ويمارس بالطريقة التى فيها احترام النمو العقلى للطالب ، وقدرته على الحكم المستقل ، أو هو نظام من الأعمال يقصد به تمكين الطالب من التعليم، أو هو ما يحدث عندما ينجح المدرسون - بحكم أنشطتهم التعليمية - نجاحا كليا ، أو جزئيا فى إقدار طلابهم على أن يتعلموا . ويقصد به هنا كافة الظروف والإمكانات التى يوفرها المعلم فى موقف تدريسى معين ، والإجراءات التى يتخذها فى سبيل مساعدة تلاميذه على تحقيق الأهداف المحددة لذلك الموقف ... وهذه الظروف والإمكانات تتمثل فى مكان الدراسة ، ودرجة الإضاءة ، والتهوية ، ومستوى الاهتمام الذى يصل إليه التلاميذ والكتاب المدرسى ، والسبورة والمعمل والمكتبة ، وأى أجهزة تتوافر داخل الفصل ، أو أى وسيلة تعليمية أخرى يستخدمها المعلم فى هذا الإطار.

وليس التدريس بالمدرسة مقصور على نقل المادة العلمية من المدرس إلى التلميذ ، كما أنه ليس مقصورا على إنهاء المنهج المدرسى فقط أو على إفهام الطالب ذلك، وتمكينه من اجتياز الامتحان ، والانتقال به من صف إلى آخر ، ولكن التدريس الحقيقى هو الذى يتجاوز مرحلة الإفهام ، واجتياز الامتحان إلى درجة أعلى تصل إلى مرحلة استيعاب المادة العلمية ، وتمثلها والتعايش معها بل وحبها ، بحيث تصبح فكر الطالب المتميز، وبؤرة اهتمامه ، إلى جانب سبر أغوار الطالب من كل النواحى : عقليا و نفسيا واجتماعيا.

وإذا كانت العملية التعليمية تقوم على الأبعاد الثلاثة ، وهى : المعلم ، والمتعلم ، والمادة التعليمية فإن المتعلم هو المستهدف من هذه الأبعاد ، وعليه يتوقف الحكم على فائدة العملية التعليمية ، وجدوى التدريس فيها ، ومقدار الجهد المبذول فيها من المعلم ، وجودة المنهج المقدم.

إن كفاءة مخرجات العملية التعليمية هى الضمان الأكيد لسلامة الشعوب وقوتها ، بل هى المنطلق الوحيد لعملية التنمية فى شتى صورها : السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية إن المدرسة بكل صورها وألوانها ، والتعليم الذى تقدمه هى البداية الحقيقية لكل تقدم ، ذلك أنها تقوم بغرس البدايات الحقيقية لكل إبداع وابتكار . وبدون إبداع من تلاميذها ،فإن المدرسة تكون بذلك قد وقفت عند الحد الأدنى من التعليم ، وليس هذا مطلوبا فى مواطن اليوم ، إذ أن هذا المواطن يواجه بمجموعة من التحديات من أهمها مايلى :

- تحد تعليمى حيث يعيش الطالب ثقافة مجتمعه ، وتحيط به وسائل الإعلام المختلفة ويخضع لما يسمى بالمنهج الخفى ، الأمر الذى لم تعد المدرسة هى المصدر الوحيد للمعرفة بالنسبة للطالب وبالتالى فإن ما كان مثيرا لهذا الطالب ، وشاغلا لفكره وجديدا عليه من جهة المنهج المدرسى ، ربما يبدو الآن أمرا عاديا لا يتسم بالطرافة والجدة ، كما لم يعد المدرس الناقل للمعرفة هو المصدر الوحيد لكل ألوانها، وخاصة بعد أن حصر نفسه فى دائرة المنهج المدرسى، وتوخى عدم الخروج عنه؛ لكى يحقق لنفسه نجاحات أكثر لشريحة أكبر من الطلاب الذين يحلمون بتحقيق مجموع عال ، أو تقدير متميز ، أو إشباع نفسى يزيده ثقة وفخرا.
- تحد اجتماعى يتمثل فى أن هناك مواد إعلامية ، تستهدف تغيير بعض الأنماط أو العادات الاجتماعية التى استقرت فى وجدان الشعوب وأصبحت علامة مميزة لها ، ومهمة التدريس فى المدرسة أن تجعل من إبداعات تلاميذها فى الجانب الاجتماعى ، امتداد لقيم المجتمع وآدابه وعامل تطويع للثقافات الوافدة ، التى يتعذر على النشء تجنبها، أو إهمالها.
- تحد علمى يتمثل فى الإنجازات التكنولوجية التى تفاجأ بها الشعوب النامية ، سواء فيما يتصل بالمأكل ، أو المشرب ، أو الملبس أو الخدمات الحضارية ، أو العلوم المستحدثة التى تدخل فى مستلزمات الحياة العصرية ، وتحدث نوعا من الإنجاز الحضارى ، بحيث لا يمكن للمواطن العادى إغفالها ، بسبب ما توافر فيها من إبهار يضعف الإنسان العادى أمامه.
- تحد عسكرى يتمثل فى الجديد من العلوم العسكرية التى تتصل بالتخطيط ، والتدريب وكذا ما تنتجه المصانع الحربية من أسلحة ومعدات ، تتطلب إعمالا للعقل وتجاوبا معها استخداما ، وأداء وتطويرا.

- تحد إعلامى يتمثل فى التقنيات الإعلامية الحديثة التى تشد القارئ والسامع والمشاهد وتجعل بعض الشرائح تشعر بالدونية إزاء هذا الجديد . ناهيك عن الفضائيات المتعددة التى تبث طموحاتها الإعلامية إلى المشاهد أينما كان.

كل هذه التحديات وغيرها تلقى على التدريس بالمدرسة مسئولية إعداد الطلاب ، حيث لم يزل التعليم يعانى من غلبة الكم على الكيف ، ومن عجز فادح عن مواجهة متطلبات عصر جديد ، أخص خصائصه ثورة المعلومات التى غيرت أساليب الإنتاج وأنماطه، فضلا عن قصور فى إعداد أجيال جديدة أكثر قدرة على مواجهة تحديات الحياة العملية ، تحسن استيعاب علوم المستقبل ، وتعرف كيف تفرق – باستخدام العقل البشرى – بين دعاوى الزيف والحقيقة.

إن المبدعين فى مجالات الحياة المختلفة هم خط الدفاع الأول عن بلدهم ، داخليا وخارجيا وذلك لأن المشكلات المعاصرة تتطلب حلولا مبتكرة ، وإبداعات سريعة ، قائمة على العلم فى إطار أسلوب حل المشكلات ، انطلاقا من واقعها المعاش ، ولا أدل على ذلك من إبداع سلاح المهندسين فى حرب رمضان / أكتوبر ١٩٧٣م بنسف المانع الترابى الذى أقامه الإسرائيليون بطلمبات المياه ، وهو حل قد يبدو بدائيا لكنه تقنية مناسبة لحل المشكلة ؛ إذ العبرة بحل المشكلة، وليس باستخدام التقنية العالية.

ويحظى الإبداع والمبدعون باهتمام كبير على المستوى المحلى والمستوى العالمى . فعلى المستوى المحلى هناك أكاديمية البحث العلمى ومراكز البحوث المختلفة ، والجامعات الحكومية والخاصة . وقد جاء فى توصيات الاعتراف بالإبداع ما يلى :

١ - ينبغى للدول الأعضاء أن تضمن حصول الباحث العلمى على قدر مناسب من التأييد المعنوى والمكافأة المادية.

٢ - أن تراعى حصول المشتغلين بالبحث العلمى على مستوى الإشباع المهنى ورضاهم الوظيفى - الأمر الحاسم بالنسبة للإبداع.

٣ - أن تسعى لضمان إدراج نصوص مكتوبة تبين - بوضوح - حقوق الباحثين العلميين بالنسبة لأى اكتشافات أو اختراعات تخصهم.

متطلبات الإبداع :

لا يأتى الإبداع من فراغ ، ولا يمكن أن يتم فجأة ، وكأنه أمر عارض يظهر ثم يختفى وإنما له علامات أساسية ، ومنطلقات تبشر به . وأهم هذه المنطلقات ما يلى :

أ - **الخيال:** فكل اكتشاف، وكل توسع فى الفهم، يبدأ كتصور خيالى قبلى لما قد تكون عليه الحقيقة. وينشأ هذا الخيال نتيجة لعملية يسهل فهمها، أو يصعب استيعابها ، كأى عمل خلاق من أعمال العقل . فهو موجة عقلية، أو تخمين ملهم، أو نتيجة للمحة نافذة متوهجة من لمحات البصيرة ، وهو يصدر -على أى حال - من داخل النفس ولا يمكن للوصول إليه عن طريق تطبيق أى حساب لعملية الاكتشاف.

ب - **الأصالة:** وهى تحرر من أنماط التفكير الجامدة المألوفة . والذى ينظر إلى الموقف نظرة جديدة ، ويؤلف عناصره فى نظام جديد يؤدى إلى اكتشاف علاقات جديدة أو الوصول إلى نتائج فريدة وجديدة . فاكتشاف المبادئ والقوانين الجديدة فى العلوم ، أو التنظيم الفريد والجديد للألوان والخطوط فى الرسم ، أو للمفاهيم والمعانى فى الأدب ، أو للألحان فى الموسيقى - هى أمثلة من التفكير المبدع.

جـ - **الإنجاز :** ويعنى ذلك أن يتحول الخيال ، والقدرة على إبداع الجديد إلى واقع مشهود بحيث لا يظل حبيس الذهن . وهذا الإنجاز المشهود ليس إنجازا عاديا ، وإنما هو تقديم وإنجاز الأشياء العظيمة ، دون الوسائل المتعارف عليها على أنها ضرورية لإنجاز هذه الأمور مما يمكن القول معها : إن الإبداع وصل إلى مرحلة العبقرية . والعبقرية تختلف عن الفطنة اختلاف الساحر عن المهندس المعمارى ، ذلك يرفع بناءه بوسائل خفية ، وهذا يرفعه بالاستخدام الماهر للأدوات العامة ، ومن ثم نفترض فى العبقرية أن بها عنصرا مقدسا ، وترى هنا قوة الإبداع الخارقة ، التى عزيت فيما مضى إلى إلهام إلهى ، وهى تبعث من عقل العبقرى نفسه.

وهذا الإنجاز لا يصدر إلا من الأفراد الفائقين جدا very superior فى الذكاء ، هى نسبة قليلة جدا ممن يحصلون على نسبة ذكاء أعلى من ١٤٠ . ويسمى هؤلاء الأطفال عادة الأطفال الموهوبين ، لأنهم يتميزون بقدرات غير عادية تظهر عادة فى نضوجهم المبكر ، فهم - مثلا - يتعلمون القراءة والمهارات اللغوية والعددية الصعبة فى سن مبكرة جدا عن غيرهم من الأطفال وبالرغم من التفوق الشديد فى ذكاء هؤلاء الأطفال الموهوبين إلا أن نسبة قليلة منهم يتمكنون من القيام بإنجازات عظيمة فى وقت مبكر من حياتهم ، وهو ما يتميز به الفرد الذى يطلق عليه عادة اسم العبقرى.

أما التفكير الناقد فقد برزت أهميته من خلال الحاجة إلى تفكير أفضل فى ظل التوجه التكنولوجى لعصر المعلومات، وتوصلت لجنة التعليم فى الولايات المتحدة Education

ommission of the states, ١٩٨٢ بعد تحليل لحاجات المجتمع فى عصر المعلومات - إلى تقرير خاص تضمن : مهارات التقويم والتحليل والتفكير الناقد ، وإستراتيجيات حل المشكلات ومهارات التنظيم ، والتأليف ، والتطبيق والإبداع ، واتخاذ القرارات فى حالة نقص المعلومات ومهارات الاتصال.

والتدريس الهادف ينمى التفكير الإبداعى ، كما ينمى التفكير المحدد وهو التفكير الذى يهدف إلى حل معروف لمشكلة معينة ، وينمى - أيضا - التفكير المنتج وهو الذى يتضمن إنتاج أنساق جديدة من الأفكار . وهذه التنمية لا تقتصر على مادة دراسية معينة لأن العملية التعليمية كل متكامل ، وهى تحدث تكاملها داخل النفس الإنسانية.

٢ – ضرورات أساسية فى تدريس التربية الإسلامية :

يمثل الدين لبنى الإنسان ركيزة أساسية للحياة ، حتى لو كان هذا الدين دينا غير سماوى لأنه أولا : يتصل بفطرته المخلوق عليها ، وثانيا : لأن الدين هو الذى يمثل قمة العقيدة ، أو المبادئ التى ينطلق منها الإنسان إلى الحياة ، ويتعامل بها مع من كان وما كان فيها إنسانا ، أو حيوانا ، أو نباتا ، أو جمادا ، خاصة إذا كان هذا الدين مثل الإسلام فى سماحته وشموله وكليته واستيعابه لحركة الحياة ، وتناوله لما بعدها من ثواب وعقاب ، وجنة ونار ... الخ.

والملاحظ أن هناك تحديدات مختلفة لمعنى الدين ، لكن التحديد البليغ الذى يجسد معناه ويؤكد أهميته هو حديث رسول الله (ﷺ) " الدين المعاملة " . ولعل سر بلاغة هذا التحديد يكمن فى أن أى تبليغ بدعوة ، أو تبشير بمبدأ لا يمكن أن يحقق الهدف منه - مهما استند إلى الدليل المنطقى ، والإقناع العقلى - إلا إذا كان صادرا ممن يوثق بحسن معاملته لكل من فى الكون وما فيه. فالمعاملة الحسنة هى التى تسترعى الانتباه ، وتدخل القلب وتستحوذ على العقل وليست هذه المعاملة ناشئة من فراغ ، ولكنها الترجمة الحقيقية لدين الله وشرعه انطلاقا من أن رسول الله (ﷺ) - كما جاء على لسان السيدة عائشة - رضى الله عنها - كان قرآنا يمشى على الأرض بمعنى أن ما جاء فى القرآن من أحكام وقواعد ، وعقيدة إنما تمثل فى شخص الرسول (ﷺ) وامتزج بذاته الكريمة ، بحيث إن قوله ، وفعله وسلوكه وكل ما يصدر عنه(ﷺ) ولا يخرج عما أنزل عليه (ﷺ) لهذه الرسالة ، بل لا يمكن الفصل بين هذه الأبعاد فى شخصية رسول الله (ﷺ) ، مما يجب أن نقول : إن قوله (ﷺ) ، وفعله ، وسلوكه ، واحد.

ونظرا لأن التربية الإسلامية لا يمكن أن تسمى بهذا الاسم إلا إذا كانت ترجمة حقيقية لعقيدة هذا الدين وشريعته - فإن من يتصدى لتدريسها لابد أن يكون واعيا بالاعتبارات الآتية:

١ - أن يكون فاهما للأصول الأولى للفروع التى تتعلق بتدريس هذه المادة، ولعل منها التوحيد، الفقه: عبادات ومعاملات، وحدود، وكذا اللغة العربية وعلى الأقل منها: البلاغة والنحو ليستطيع التعامل مع النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، وأن يتوافر لديه القدرة على الرجوع إلى المراجع فى المسائل التى يتعذر عليه الإجابة عنها فى مظانها الأصلية، حتى لا يحبط تلميذه فيه. وبدون هذه المواد وغيرها من المواد المساعدة لفهم التربية الإسلامية، لا يمكن التصدى لذلك، لأن فاقد الشئ لا يعطيه، ناهيك عن أصول التشريع الإسلامى، فى شتى أبعاده.

٢ - أن يكون على وعى أن هذا الدين ألقى المسئولية على الفرد نفسه تجاه دينه ، يوم أن يبلغ سن التكليف ، فى مقابل منحة العقل التى وهبها الله إياه ، ولكن رحمة الله بعباده أن هيأ لهم الإعاشة مدة طويلة مع الأبوين قبل سن البلوغ ، فضلا عن مساعدة الجماعة المسلمة فى إعداد هذا الفرد لمسئولية التكليف فيما بعد . ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾(الإسراء : ١٣) بل إن مساعدة المسلمين للمكلف لا ينقطع بعد التكليف، لأنه فرد محسوب على الإسلام والمسلمين " الدين النصيحة " قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسله ولأئمة المسلمين وعامتهم : رواه مسلم.

٣ - أن المدرسة ليست هى المسئولة الوحيدة فى مجال التربية الإسلامية، وإنما يشاركها فى ذلك مؤسسات، ووسائل، ووسائط تربوية أخرى. وهذا التعدد فى المسئولية يضاعف من مسئولية المدرسة فهى بجانب إعدادها للنشء من الناحية الإسلامية، مسئولة أيضا عن تصحيح المفاهيم التى وصلت إليه وفيها خلط أو تشويش، قد تسئ إلى الإسلام، أو التلميذ، وتبعده عن قيم الإسلام السمحة، وهذا يفرض على المدرسة أن تستوعب ما يحيط بها، بحيث تحقق التكامل التربوى مع هذه المؤسسات.

٤ - أن تقسيم التربية الإسلامية إلى فروع متعددة مثل العقيدة، والفقه: عبادات، معاملات، حدود، والقرآن، والحديث والسيرة ، والتهذيب ... الخ إنما هو تقسيم قصد به تسهيل التدريس فقط، لكن معالجة المدرس لهذه المادة يجب أن يتسم

بالتكامل، بحيث تقدم المادة الدراسية فى وحدة متكاملة ، بل إن اللجوء إلى تكامل الموضوع من مختلف فروع المعرفة ، لا من فروع التربية الإسلامية فقط - إنما هو الصواب بعينة ، إذا كان ذلك فى استطاعة المدرس . لأن ما جاء به العقل لا يمكن أن يتصادم مع الإسلام . ومن هنا جاءت مقولة : إن كل مدرس فى المدرسة هو فى الحقيقة مدرس للتربية الإسلامية ومبلغ عن ربه ، إذا استهدف بما يقدمه للتلميذ وجه الله انطلاقا من أن الإسلام أمانة فى عنق كل مسلم ، وعليه . أى المسلم أن يتحمل من تلك الأمانة بالقدر الذى يتناسب مع إمكاناته ، وموقعه ؛ لأن كل المسلمين عند الله سواء ، وباب المساهمة فى شرع الله حق للمسلم.

٥ - أن التربية الإسلامية تربية ممتدة ، لا تنتهى بانتهاء الدراسة ، لأنها السلوك المعبر عما استقر فى القلب ، ووافق عليه الشرع . والشرع ملازم للإنسان أينما كان . فهى تحتاج دائما إلى التذكير ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الذاريات : ٥٥) ولعل من حكمة تكرار العبادة الواحدة ، أنها تستهدف ترسيخ السلوك الإسلامى القويم . فالصلاة لتأكيد الانضباط فى الوقت والدقة فى العمل ، وإعطاء كل شئ حقه ، والشعور بالعبودية وملازمة الجماعة والتعاون معها... الخ ، بل إن من سنة الصلاة قراءة آية من القرآن الكريم ، لعلها تذكر المسلم سلوكا سويا ابتعد عنه . وتكرار الزكاة - مثلا - تأكيد لسلوك العطاء ، والأمانة فيما يقدم ، والتعاطف مع المحتاج ، حتى لو كان ما يحتاجه غير المال . وقس على ذلك كل العبادات . ويتوقع من كل من يمارس شعيرة ، أو يؤدى فريضة ، أو يقوم بنسك أن يتسامى سلوكه ، ويزيد إيمانه ، ويصبح فى عدد المؤمنين الحقيقيين . لعل هذا هو العائد من أداء العبادات ، ويؤيد ذلك أن رسول الله (ﷺ) كان يدعو ويقول : اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ... الخ.

٦ - أن النصوص المقدسة فى نظر المسلم هى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، وما عداها خاضع للنقد والتحليل ، والقبول والرفض . ومع أنها نصوص يفهمها العادى والمدقق كل بطريقته ، إلا أنها حين تقدم للغير لابد من الاعتماد فيها على قواعد أهل هذه الصنعة من علماء التفسير والحديث ، انطلاقا من أن كل شئ له أصوله وقواعده . والخروج عن هذه الأصول غير مقبول لا من الشرع ولا من العرف والتعامل مع النصوص غير المقدسة له آدابه التى يجب الالتزام بها دون تجريح ، أو

تسفيه ، مما يليق بسلوك المسلم ، لأن الحق المشاع يجب أن يحترم، ويلتزم بحدوده ، دون تعصب لرأى أو افتئات على الغير.

٧ - أن عدم إجابة أى سؤال ما، أو تأجيله إلى ما بعد، فى مجال التربية الإسلامية، أو حتى فى غيرها، لا يقلل من قيمة المدرس، بل يعلى من شأنه - حتى لو تحقق ذلك متأخرا فى نظر التلميذ - لأن من قال: لا أدرى - كما تواتر - فقد أجاب . فليس هناك ما هو أخطر من الإجابة بالخطأ . ولعل هذا من أساسيات المهنة وأمانة الكلمة.

٨ - أن مدرس التربية الإسلامية عليه أن يكون مسلحا بآليات المهنة، ومطالبها ولعل منها: أن يكون فى حوزته أو ما فى حكم ذلك - مثلا - قاموس للغة العربية على مستوى يمكنه من الرجوع إليه، إذا استعصى عليه فهم كلمة أو تعبير، ليستطيع تحديد معناها من السياق، وكذا مرجع من كتب الفقه التى تساعده فى حل المسائل الفقهية للطلاب أو للزملاء، وكتاب من كتب إعراب القرآن الكريم، أو أى مرجع من كتب النحو التى تلقى الضوء على المعنى ؛ لأن الإعراب فرع المعنى -كما يقولون - كما يكون فى حوزته كتاب من كتب التفسير التى تسعفه فى توضيح بعض الآيات، لأن الاعتماد على المعنى الظاهر من الآية فيه مظنة الخطأ، مع العلم بأن الرجوع إلى الأفكار السابقة مطلب أساسى من مطالب البحث العلمى، وعلى الإنسان الباحث أن يبدأ من حيث انتهى الآخرون، إذا كان فى مقدوره تقديم الجديد.

٩ - أن يكون مطلعا على الفتاوى التى تصدر عن جهات الاختصاص، خاصة تلك التى تتعلق بالقضايا المعاصرة، وتثار بين الحين والحين. وتقدم تلك القضايا مصحوبة بأساليب الإقناع،وأسانيد من الشرح، ليتعلم الطلاب أسلوب التفكير العلمى واحترام الأمانة العلمية، والآراء الشخصية. ولا حرج من إشراك بعض الطلاب فى البحث عن هذه القضايا، لأن فى ذلك إشعاراً بقيمة الفرد، ودور المتعلم فى العملية التعليمية، من حيث هو متعلم، وباحث. ولا يغيب عن العقل أن إغفال القضايا الفقهية المعاصرة عملية محفوفة بالمخاطر التعليمية. ولعل منها :

أ — أنه ربما يستقر فى ذهن المتعلم أن الفقه الإسلامى لا يمكن الاقتراب مما وصل إليه اللاحقون منه من اجتهادات . وأن الماضى - مع ما فيه تراث عظيم - شئ مقدس لا يمكن الزيادة عليه.

ب – أنه ربما يجمد التفكير لدى النشء، ويدعم المقولة المشهورة " ما ترك الأولون للآخرين شيئا " مع أن سنة الله فى تطور الأشياء - أيا كانت - جارية، ولا يمكن الوقوف أمامها.

جـ - أنه ربما ينظر الطالب إلى الفقه الإسلامى، على أنه لا يقدم المسلم لعصره ولا يساعد المتعلم فى أن يعيش يومه وغده، مع أن شريعة الإسلام شريعة مرنة تأخذ فى اعتبارها حياة المسلم المعاصر. ومعلوم أن من أهداف التربية أن تقدم المتعلم لمجتمعه ولمستقبله، ولا يعيش أسير الماضى.

١٠ - أن مدرس التربية الإسلامية يسهم - وبشكل فعال - فى تنمية التفكير لدى المتعلم والتفكير مطلب ضرورى للمتعلم . ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١) ولهذا السبب فإن رسول الله(ﷺ) لم يقم بتفسير القرآن الكريم - مع أنه - (ﷺ) - كان فى إمكانه ذلك - ليؤكد الاعتبارات الآتية :

أ – أن المسلمين - كل على حسب قدراته - مطالبون بالتفكير ، وإعمال العقل بنص هذه الآيات ، وغيرها . ويعنى هذا أن فهم المسلمين للقرآن الكريم له مستويات متعددة.

ب – أن القرآن الكريم عطاؤه متجدد على اختلاف العصور . وقبس لأصحاب العقول الصافية ، وينهلون منه ما يشاءون . ومن هنا كانت عظمة القرآن الكريم فى صلاحيته لكل زمان ومكان.

جـ - أن قصر التفكير فى فرد أو أفراد مخصوصين أمر مستبعد ، ليتساوى المسلمون فى التعامل مع دستورهم العظيم ، وقرآنهم الكريم ، وأنهم كل متكامل.

١١ - أن يتزود مدرس التربية الإسلامية بمهارات البحث العلمى ، حتى إذا واتته الفرصة ليرد على المغرضين أو الذين فى نفوسهم مرض ، أو خالى الذهن عن رأى الإسلام فى أمر ما - أمكنه ذلك ، بعيدا عن الإنشاء ، ورص الكلام. فالكلام المقنع يصيب الهدف ، ويؤثر فى المتلقى . أما الرد بدون دليل ، أو الثرثرة بدون سند مضيعة للوقت - وربما يكون تأثيره عكسيا.

إن الإقناع العقلى أصبح اليوم مطلبا عسيرا فى ظل ما يحيط بالتلميذ من توجهات مختلفة وتيارات متعددة ، ولكى يسهل ذلك فإن الاعتماد على المهارات العقلية لمدرس التربية الإسلامية ، أصبح أمرا تستوجبه مطالب المهنة ، ومسئولية الدعوة إلى الله بالحسنى والموعظة الحسنة ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (النحل : ١٢٥).

١٢ - أن مدرس التربية الإسلامية عليه أن يفطن أنه - وحده - لا يملك مفتاح المعرفة فى هذا التخصص ، لأن التربية الإسلامية مسئولية كل مسلم - صغيرا كان أم كبيرا - وليس من المستبعد أن يكون بين طلابه من لديه خبرة أكثر فى جانب ما من هذه المادة . من هنا فإن هذا المدرس عليه أن يمارس دوره فى التدريس . ومن هذه الأدوار طريقة " البحث " حيث يعمل المعلمون والمشاركون من الطلاب - جنبا لجنب - لحل المشكلات التى لم يتوصل أى من الفريقين إلى إتقانها بالكامل . ويكون التركيز - عادة - على عملية حل المشكلة . وتصبح الغاية التعليمية هى إتقان إجراءات البحث ، حتى يستطيع المشاركون أن يكتشفوا أفضل الحلول ، ويصوغوها من الناحية الفنية . ويغدو الجانب الممارس ، فى هذا العمل ، على نحو يؤدى بهم إلى تعميمات يتوصلون إليها عن طريق الاستقراء . ويتركز إسهام المعلم على مساعدة المشاركين فى استخدام إجراءات البحث ، حتى يتعلموا كيف يتعلمون. فالمعلمون - عادة - يساعدون الدارسين ، أو الطلاب على اكتشاف القواعد والمفاهيم الرئيسية.

١٣ - أن يهتم مدرس التربية الإسلامية بأنشطة التعلم المصاحبة ، كلما أمكنه ذلك . ويشترط فى هذه الأنشطة : الارتباط المباشر بالموضوع ، و دافعية المتعلم ، وفرص الممارسة والتشجيع على التطبيق ، وتقييم العمل وأخيرا كفاءة المعلم.

وقد يرى البعض أن الأنشطة المرتبطة بالتربية الإسلامية ، فيها شئ من التجريد ، ولذا فإن الذى يمكن أن يعوض ذلك هو الثقافة العامة لهذا المدرس ، والتى عن طريقها ، يقيس الأشباه بالأشباه ، أو يستعين فى تقريب المعنى بالصور الحسية ، أو المواقف الحياتية ومن هنا فإن ثقافة هذا المعلم لابد أن تمتد إلى مسارب الحياة المختلفة ، من ثقافة أدبية ، إلى عملية إلى بيئية ، إلى طبية ... الخ.

ولعل من فضل الله على هذا المعلم ، وغيره ممن يعمل بالتدريس ، أنه أى التدريس

يجمع بين الدين والدنيا ، إذا أخلص المعلم فى عمله وتوخى بهذا العمل رضا الله ومثوبته وطريق الأداء الجيد والإفهام المستنير - هو الإخلاص فى العمل.

١٤ - أن يقوم المدرس بين الحين والحين ، بتخصيص حصة لمناقشة الموضوعات ، أو المشكلات ، أو القضايا التى تشغل بال الطلاب أو شريحة منهم ، لأن ذلك يحقق عدة فوائد :

أ — وقوف المدرس على قدرته الإقناعية ، وتقديم الأدلة التى يمكن أن تستميل الطلاب بل ومعرفة مستواه من الناحية العلمية ، ومواطن الضعف التى يجب عليه تلافيها وذلك بالقراءة والاطلاع على المشاكل التى تشغل بال طلابه.

ب - وقوف المدرس على المشكلات التى يعانى منها الطلاب ، أو بعضهم ، لأن تلك المشكلات تؤثر على سلوكهم الشخصى ، وتثير فيهم جوانب القلق . والتصدى لمواجهة تلك المشكلات ، ومحاولة حلها ، إما عن طريق هذا المدرس ، أو الاستعانة بغيره — مدعاة لامتصاص حالة القلق ، وتوجيه الطلاب إلى المسار الصحيح ومعرفة التوجهات غير المرغوبة ، والانتباه لها ووضعها فى دائرة الاهتمام.

جـ - توسيع دائرة الحوار بين المدرس وطلابه ، أو بين الطلاب بعضهم البعض ، من شأنه أن يقرب بين الجميع ، ويفتح الباب أمام عملية الفهم والإفهام . فضلا عما يعود على العملية التعليمية ككل والتربية الإسلامية بالنفع والفائدة . ولا شك أن هذا الحوار يعرف الطلاب بين ما يمكن أن يكون موضع خلاف ، وما يجب أن يكون موضع اتفاق . وهذا الاتفاق أو الاختلاف يجب أن يكون صمام الأمان فيه القرآن الكريم والسنة ، وما يضمن وحدة المسلمين ، وتحقيق جانب الشورى بينهم . ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ (النساء : ٥٩).

١٥ - أن يعرف مدرس التربية الإسلامية أن هناك أهدافا رئيسية وأخرى فرعية لكل ما يقدم للتلميذ . فالتفسير لعل الهدف الرئيسى منه : وعظ ، وشفاء ، وهدى ورحمة للمؤمنين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (يونس : ٥٧) أما الأهداف الفرعية فكثيرة . فالحديث النبوى يستهدف بيان الأحكام الشرعية من فرض وواجب ومندوب وحرام ومكروه، أما الأهداف الفرعية فهى

كثيرة ، والتوحيد يستهدف الاقتداء بالمصطفى (ﷺ) إلى جانب أهدافها الفرعية الأخرى . والفقه يستهدف كيفية القيام بالعبادات والمعاملات والحدود ، والإفادة مما يعود على المسلم من عبادته ونسكه . وهذه الأهداف الرئيسية والفرعية تحدد الأطر والاتجاهات التى يدور التدريس فى فلكها ، والتى يمكن أن ترقى بسلوك المسلم إلى المستوى الإسلامى المنشود ، إلى جانب الاحتكام إلى الأدلة والبراهين التى تؤكد شرف الإسلام ، وقدسيته وعصريته.

١٦ - أن مدرس التربية الإسلامية - اعتماداً على ثقافته الواسعة، واطلاعه المستمر - عليه أن يقوم بتعويض الطالب ما فات المنهج المدرسى من حقائق وأفكار ومعلومات تتصل بالإسلام. بسبب بعض الضغوط السياسية، أو التوجهات المضادة، من قبل القوى العالمية، أو قبل بعض المواطنين، الذين يضعفون أمام أى نوع من الإغراء؛ انطلاقا من المقولة المعروفة " الشجرة لا يقطعها إلا أحد أبنائها".

٣- كيف تكون حصة التربية الإسلامية :

إذا كان من المسلم به أن كل مدرس فى المدرسة هو مدرس للتربية الإسلامية ، طالما آمن بهذا الدين وتشبع به ؛ لأن ضريبة الإيمان بهذا الدين تقتضى تقديم كل ما يمكن أن يسهم به لدعم إيمانه وإيمان الآخرين ، وتكافل المسلمين فيما بينهم أساسية من أساسيات الإسلام ، ليس فى الجانب المادى فقط وإنما فى كل المجالات التى يمكن أن تمس حياة المسلم " إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يمسكوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده من حديث رسول الله (ﷺ) - فإن مدرس التربية الإسلامية ينبغى أن يقوم بدور المنسق لما يقوله المدرسون الآخرون والوعى لما يمكن أن يصل إلى تلميذه من البيئة المحيطة به، حتى يضمن لعمله وما تقوم به المدرسة سلامة الفكر ، وتصحيح المسار . وتبدو حصة التربية الإسلامية مختلفة عن باقى حصص المواد الأخرى . انطلاقا مما يلى :

أ - أن التلميذ قد يعرف قليلا أو كثيرا عما يقدم له فى الحصة إلا ما ندر ، وذلك لتعدد المصادر التى يمكن أن تمده به . مثل : المسجد ، البيت ، جماعة الرفاق وسائل الإعلام المختلفة مثل : الإذاعة المسموعة والتليفزيون ، والصحافة وبالتالى فإن خطاب تلميذ يعرف بعضا عما فى الدرس ، يختلف عن خطاب تلميذ آخر خالى الذهن عنه.

ب - أن المادة المعروضة فى حصة التربية الإسلامية قد تختلف فيها وجهات النظر ، وقد

تكون لها آثار ترسبت لدى بعض التلاميذ ، ولذا فإنها تحتاج إلى معالجة مختلفة ، لأنها ليست مسألة رياضية سيتغير اتجاه التلميذ فيها بمجرد معرفة الحل الصحيح لها . والجانب الوجدانى - من المعلم والتلميذ - يلعب دورا مهما فى تلك المعالجة.

جـ - أن قدرة المدرس على الإحاطة بالإسلام وقضاياه ادعاء قابل للسقوط أمام المسائل الدينية . وعليه فإن فرصة الإفادة مما لدى التلميذ تصبح واجبة ، انطلاقا من أن الكل يعلم الكل ، فضلا عما يتيحه ذلك من تدريب على ممارسة أسلوب المناقشة والحوار وتطبيق المناخ الديمقراطى فى الفصل.

وبناء على ما سبق تبدو حصة التربية الإسلامية كما يلى :

يبدأ المدرس بتقديم موضوع الدرس إلى طلابه ، ثم يقوم بجمع كل ، أو بعض ما يتعلق به من الطلاب ، ثم يسجل الأفكار الرئيسية منها ، إلى جانب ما هو موجود فى الكتاب المدرسى ويستبعد المكرر ، ثم يقوم بعد ذلك بدور المنسق لكل ما قيل ، ويتجنب الإلقاء والسرد من جانبه ، ثم يقوم بإدارة الحوار والمناقشة ، وتسجيل ما تم الانتهاء منه أولا بأول ،ثم يقوم هو أى المدرس أو أحد الطلاب بتلخيص ما عرض ، مكررا ذلك إلى أن يتم السيطرة على ما قدم فى الحصة ثم أخيرا يوجه الأسئلة التى بمقتضاها يتم التأكد من تحقيق الهدف من الدرس.

ويلاحظ أن هذه الطريقة تعتمد على مهارة المدرس فى ضبط الحوار ، وتحقيق العدالة بين كل المتكلمين ، فضلا عن ثقافته الواسعة التى تسمح له بالسيطرة على الحصة ، ومقارعة الحجة بالدليل المقنع ، والبرهان الحى.

وقد يحقق هذا النمط من التدريس بعض المزايا .منها :

١ - الوقوف على ما لدى الطلاب إزاء هذا الموضوع . فإن كان صحيحا فبها ونعمت وإن كان غير ذلك يتم تصحيح هذا الخطأ فى جو يفيد منه الجميع.

٢ - استمرار التفاعل فى الفصل بين المدرس وطلابه ، والطلاب بعضهم البعض ، فيتعلمون عن طريقه أدب الحوار ، والمناقشة ، وعرض وجهة النظر ، الأمر الذى يؤدى إلى ترسيخ بعض السلوكيات المحمودة.

٣ - الاطمئنان إلى أن ما تفرزه عملية الحوار والمناقشة من قضايا ، تثار حولها التساؤلات وتستحوذ على اهتمامات الطلاب وتفكيرهم - يتم الرجوع فيها إلى المصادر الموثوق

بها ومعالجتها تحت سمع وبصر المدرس وطلابه ، بعيدا عن الفهم الضيق ، والتفسيرات المغلوطة.

٤ - وصل الفصل المدرسى بالبيئة المحيطة به ، وذلك بمعرفة الأفكار التى يمكن أن تكون سائدة بين شريحة من الطلاب ، فى ظل سيادة وسائل الإعلام ، وتأثيرها على السامع والقارئ.

٥ - إثراء الجانب الدينى ، وذلك بعرض وجهات النظر المتعددة أمام التلميذ ، ليختار منها ما يشاء. ويمكن الاستشهاد فى هذا المقام بما قاله أحد تلاميذ الإمام على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - ومن ترك الدنيا كلها ، وخرج من جميع ما يملك ، وجلس على بساط الفقر والتجريد - فأمامه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ومن أخرج بعضا وترك البعض الآخر لعياله ، ولصلة الرحم ، وأداء الحقوق ، فأمامه عمر ابن الخطاب رضى الله عنه. ومن جمع لله ، ومنع لله ، وأعطى لله ، وأنفق لله - فأمامه عثمان بن عفان - رضى الله عنه ، ومن لا يحوم حول الدنيا ، وإن جمعت عليه من غير طلبه رفضها - فأمامه على رضى الله عنه.

٤- مطالب التربية الإسلامية :

لا قيمة للتربية إذا حفظت فى الصدور ، وتناقلتها الألسنة ، دون أن تجد طريقها إلى السلوك والتعامل والتطبيق بين الناس . لأن أقدار الناس تعرف بالسلوك ، والقدوة لا يمكن أن يسمى قدوة إلا إذا طبق المسلم على نفسه شريعة ربه ، وراح يعلم الناس بالفعل لا بالقول ومن هنا فإن التربية الإسلامية لها مطالب متعددة .. لعل منها :

١ - التمسك بآداب التربية الإسلامية والإصرار عليها ، فى مختلف الأزمنة والأمكنة ، لان التمسك بها دليل على الثقة فيها ، والاعتزاز بها . وعصرنا الحالى يحتم ذلك لأن كل الجنسيات ، أو القوميات أو الديانات الأخرى تجهر بما تؤمن به ، وتسلك فى الناس وفق مقتضياته ، وتعده دليل التميز ، وإشارة الإعلام عن الذات ما يتصل بها وآداب التربية الإسلامية - والحمد لله - ليست محل شك أو نفور من أحد.

٢ - ملاءمة تلك التربية لأعمار المتعلمين . وليس هناك تحديد دقيق يفصل بين ما يقدم للصغار وما يقدم للكبار فى بعض السلوكيات . فسلوك إلقاء السلام أدب إسلامى. ويمكن أن تقدم قواعده للكل حيث يعرفون أن السلام يصدر من الراكب إلى الماشى . ومن الماشى إلى القاعد ، ومن القليل إلى الكثير ، أما هجر الزوجة - وهو تربية

إسلامية - فتقدم للبالغ وليس دونه ، وكذلك سلوك الكبر على من يتكبرون فيتناسب مع الراشد لحديث رسول الله (ﷺ) : "الكبر على أهل الكبر صدقة". أما آداب الأكل أمام الإنسان فيقدم للصغير دون الكبير إلا إذا كان الكبير يجهل تلك الآداب.

٣ - الفهم الدقيق والواعى للتربية الإسلامية ، وما يمكن أن يقبل ، وما لا يمكن مما يجرى فى حياتنا . فالرد على " السلام عليكم " بما تمليه هذه العبارة سلوك إسلامى والزيادة عليها برفع اليد الواحدة أو اليدين مقبول أيضا انطلاقا من الآية الكريمة ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ (النساء :٨٦) والتحية بغير ذلك ليس تربية إسلامية . أو بمعنى آخر الفهم الطبيعى للأشياء . والفهم المتسامى لها ، والباب مفتوح لممارسة كل - لمن أراد أن ينال حظا فى الدنيا والآخرة.

٤ - وجود مناخ يساعد على ترسيخ تلك التربية لعل فى مقدمتها البيت ، ثم المدرسة، من حيث التدريس السليم لها ، وتنفيذ الأنشطة المدرسية التى تؤصل هذا الجانب وتوافرها فى الأخذ والعطاء والتعامل ،والحث على نقلها إلى المجتمع الكبير ، بحيث يشعر التلميذ أن تلك التربية تقدمه لمجتمعه وتساعده على الاندماج فيه.

إن التهاون فى ممارسة التربية الإسلامية على كل المستويات ، وكل الأزمنة والأمكنة من شأنه أن يضيع معالم تلك التربية ، ويفقد المتعاملين بها الحماس لها ، وإشعارهم بالنقص. وهذا ما ينافى الإسلام وعقيدته . ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون : ٨) والمساومة فيها عجز ، وتراخ عن أداء الواجب.

٥- بعض العوامل التى تساعد المعلم على تحقيق الهدف من التعليم :

هناك عوامل متعددة تساعد المعلم على تحقيق عائد أكبر من التدريس ، وتمكنه من تنفيذ المنهج بصورة مرضية . ولعل من هذه العوامل مايلى :

١ - احترام المتعلم - صغيرا أم كبيرا - وإعطائه حقه من حيث كونه إنسانا . لا بمقدار من يحيط به من وجاهة اجتماعية أو منزلة مالية ، أو وضع عائلى ، لأن الاحترام بهذه الصورة يجسد قيمة العلم ، ويصحح مفهوم المعلم ، وينمى الميل للاستمرار فى التعليم . وهذا المعنى جزء من معنى الآية الكريمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ (الحجرات : ١١) فلم تحدد أعمار هؤلاء الذين

يتعرضون لسخرية الساخرين ، تقديرا لكرامة الإنسان، واحتراما لهذا الجنس العزيز على الله ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ (الإسراء : ٧٠)، بل إن احترام المعلم للمتعلم أشد وآكد ؛ لأنه يرغب الأخير فى العلم ويرى فيه ذاته . وعلى العكس من ذلك، فإن السخرية من المتعلم، خاصة من المعلم ، ربما تدعوه إلى التسرب وترك مجال العلم، إلى مكان آخر لم يحن وقته بعد ليرى فيه ذاته ، ويشعر بتقدير الآخرين له.

٢ - الحرص على مصلحة التلميذ وذلك بتغليب الجانب المفيد من المعلم إلى المتعلم ليستشعر المتعلم حرص الأول على إفادته، والخوف على مصلحته ومن واقع الممارسة الفعلية للتدريس، والإرشاد المستمر لهذا المتعلم، وإرشادا نابعا من القلب، خالصا لله وحده وتحقيقا لمطالب المهنة، ودواعيها، لأنه لا يصح إلا الصحيح. وإدراك المتعلم لهذا الاتجاه سيجد نفسه مضطرا إلى الإذعان لمدرسة، والامتثال لما يقوله: " لا تستوى الحسنة ولا السيئة " بل تملى الحسنة نفسها على ما هو أبعد من ذلك . إذا كان هناك نوع من الميل السلبى تجاه هذا المدرس ، فينقلب هذا الميل إلى ميل إيجابى - لصالح المعلم والمتعلم كليهما ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت : ٣٤). والناس بصفة عامة - أكثر ميلا إلى ما ينفعهم ويفيدهم - ولذلك فإن الحديث : " خير الناس أنفعهم للناس " يشمل كل خير يقدم للإنسان ، طالما فيه إنماء لذواتهم فى أى جانب من جوانب حياتهم ، وليست الخيرية خيرية مادية فقط ، وإنما تكون بإسهام المعلم فى تزويد الطلاب بالخبرة التربوية والنصيحة التى من شأنها تحقيق النمو والنجاح للطلاب.

٣ - تقوى المعلم والمتعلم على السواء ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة : ٢٨٢) التعليم فى الإسلام ليس عملا مهنيا يؤديه الإنسان إنجازا آليا لصالح وظيفته مقابل أجره ، ومكسبه، لكنه - إلى جانب ذلك - مشفوع بنوايا القلب والإخلاص لله، انطلاقا من عقيدة المسلم التى تحتم عليه أن يكون الله ورسوله نصب عينيه فيما يقول وفيما يفعل " إنما الأعمال بالنيات. ولكل امرئ ما نوى " من هنا فإن تقوى الله تعين المعلم والمتعلم، وتساعدهما فى السيطرة على الصعب وتمكنهما من تذليل أى معوق. فالإنسان وحده - دون بقية المخلوقات - هو القادر على التعلم وأعنى به تعلم العمليات العقلية العليا ، التى لا يمكن أن يصل إليها أى كائن حى، ولذا فإن الله معه يسانده، ويؤيده ، ويطلعه على بعض

أسـراره ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ (الطلاق : ٢) وليس المعلم والمتعلم بعيدين عن هذا المخرج ، إذا تغيا بعلمهما وتعليمهما وجه الله وانضما إلى جماعة المتقين.

وليس معنى ذلك أن كل الذين يلبسون لباس الصلاح ، أكثر الناس علما بالله وفهما لقرآنه العظيم، وحديث رسوله الكريم، ومعرفة أسرار الشريعة من غير أن يكونوا قد تعلموا من ذلك شيئا ، وإنما المعنى أن التقوى الصحيحة هى البحث عن الحقيقة وأعنى بها حقيقة العبادة، وهى لا تأتى إلا بالعلم . ومعروف أن العلم هو الذى يثمر التقوى. فلا تقوى بلا علم، والعلم هو الأصل الأول. وقد يفيض الله على بعض المتقين علما وفضلا ، وحينئذ يلتقى التقوى والعلم كلاهما، ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ١٦٢).

ومعنى ما سبق أن من يتق الله يسهل عليه أموره ، ويجعل له من كل ضيق مخرجا وينير له طريق الهدى فى كل ما يعرض له من المشكلات ، فإن فى قلب المؤمن نورا يهديه إلى حل عويصات الأمور.

٤ - اعتبار العلم مقياس المفاضلة بين طالب وآخر ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر : ٩) لأن هذا السلوك من المدرس يحقق عدة أهداف ، منها :

- ❖ غرس قيمة احترام زمالة العلم ، حتى لو تغيرت ظروف بعضهم البعض من النواحى الاقتصادية والاجتماعية ، وتأكيد حديث رسول الله (ﷺ) : "العلم رحم بين أهله وزيادة الروابط الأخوية بين المسلمي"ن.
- ❖ احترام المعلم، لأنه يتعامل مع ثوابت الحياة، وليس متغيراتها. فقيمة احترام الإنسان لأخيه الإنسان قيمة ثابتة، أما الاحترام للغنى والجاه أو غيرهما فهما من المتغيرات التى ليست لها صفة الاستمرار .
- ❖ زيادة التماسك الاجتماعى، والتآلف الأخوى بين المتعلمين، واعتبار كل واحد منهم قوة للآخر.
- ❖ زيادة العائد فى الجانب التربوى، من حيث تحقيق الاتساق بين الأهداف المعرفية والوجدانية والمهارية.

وقد يغيب مقياس العلم فى فترة ما - ويحل محله مقياس المال ، أو الملكية المادية ، لكن ميزان الآمال عند الشعوب لابد أن يغلب جانب العلم ، لأن فيه الضمان الحقيقى لحياة تلك الشعوب ، واستمرار تطورها . فقوة المال ، والقوى الأخرى غير العلم ربما تكون قوة غاشمة أما قوة العلم ففيها الأمن والسلامة ، إلى حد كبير.

والمدرس - بما له من تأثير على طلابه - يملك دفة التوجيه ، وتغيير شطحات الميول إلى مسارها الصحيح ، لأن رسالة التربية لا تساير واقعا ضل ، أو اتجاها ركبته الأهواء الشخصية أو النزعات المؤقتة .وهذا هو دورها الحقيقى.

٥ - الرغبة فى تعمير الكون والإسهام فيه بنصيب ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ (الذاريات : ٥٦ ، ٥٧) فليس المؤمنون عباد الله فى الأرض هم الذين يعتكفون المساجد ، ويقيمون لله ركعا وسجدا ، ويؤدون شعائر العبادات ، المالية والبدنية - فقط - وإنما هم إلى جانب ذلك المبتكرون العقلاء المبدعون ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (النحل : ١١ ، ١٢) . فالإنجاز البشرى المبنى على العلم والفهم ، هو العبادة بمعناها الحقيقى ، وهو الذى يؤدى إلى تعمير الكون ، وزيادة منافذ الإيمان فيه ، إذا توج هذا الإنجاز بالإيمان بالله الواحد الأحد . ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ ﴾ (هود : ٦١).

ومعنى هذا أن المؤمنين بالله ليسوا مهمشين فى هذا الكون ، وإنما هم عناصر أساسية فى إعماره وتنميته ، وتطويره إلى الأحسن من خلال التأمل والتفكير ، واستغلال نعم الله فى كونه و ليكونوا أكثر قربا منه سبحانه ، وليندفعوا إلى مجال العلم الدينى والدنيوى على السواء بهدف تحقيق مكاسب أكثر ، وتوفير خير أفضل - واتساع العبادة بمعناها الذى ورد فى الآية - يحمل المؤمنين مسئولية تحقيق الإبداعات العلمية ، والإنجازات الحضارية والرفاهية الإنسانية ، تحت مظلة العبودية لله ، والإيمان بوحدانيته تعالى . ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (غافر : ٦٥).

٦ - إثارة عملية التنافس فى إطارها المفيد ، وبما لا يخرجها إلى نطاق الحسد والكراهية ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴾ (المطففين : ٢٦) وإذا كانت طاعة الله

للحصول على النعيم الذى يكافأ به أهل الجنة هى محل التنافس، فإنه من الممكن أن يكون هذا التنافس مطبقا بين الطلاب داخل الفصل الواحد، أو المدرسة الواحدة أو الوطن الواحد، لأن عائده راجع إلى الفرد والجماعة.

والمدرس الواعى العارف بأمور مهنته يستطيع أن يجعل من مهنته مجالا للتنافس، ومكانا لإثبات ذوات المتعلمين، ومحكا لقدراتهم المختلفة، من خلال قدح قدراتهم، والضرب على زناد فكرهم ؛ ليعملوا عقولهم ، ويتعودوا على التفكير، والتأمل .

٧ - التأكيد على المسئولية الشخصية - فالمهمات التنموية لمن هم فى سن المراهقة. تشمل تحقيق الاستقلالية العاطفية، وتطوير النظام الأخلاقى، والترتيب للزواج، والحياة العائلية وكذلك الاختبار والاستعداد لشغل وظيفة ما - وهذه الاهتمامات تنعكس فى القطاعات الكبيرة من الشباب على الأنشطة التعليمية، التى ترتبط بالعمل عامة، وبالتخطيط والتأهيل للعمل فى مهمة معينة، وبالحزم، وتنمية الشخصية، والعلاقات الإنسانية.

٨ - لين الجانب : يؤكد القرآن الكريم أنه (ﷺ) كان لينا فى معاملة أصحابه ، ومخاطبتهم كما كان رحيما بهم . فلم يشدد فى عتب ، ولا فى توبيخ اهتداء بكتاب الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ (آل عمران : ١٥٩) ... فالقرآن الكريم أمده بالآداب العالية والحكم السامية ، التى هونت عليه المصائب ، وتعلم منافعها وحكمها ، وحسن عواقبها.

وتحتم العملية التعليمية - وهى تضم أنماطا عديدة من البيئات الاجتماعية المختلفة - أن يعامل المعلم طلابه بالحسنى واللين ، لا بالتخويف والشدة ، لأن المعاملة الطيبة تولد الحب والود . والشدة إن نجحت فى لحظة أخفقت فى لحظات . جربت اللين والسيف فوجدت اللين أقطع ويتطلب ذلك البعد عن الشراسة والخشونة فى المعاملة ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ (آل عمران : ١٥٩) والقسوة والغلظة هما من الأخلاق المنفرة، لا يصبر الطالب على تحملها من المعلم حتى وإن كثرت فضائله ورجيت فواضله، بل لا يبالى المتعلم بما يفوته من نعم الإقبال عليه ، والإفادة منه.

٦ – تطوير المعلم :

يمكن القول: إن نمو المدرس مكون أساسى فى تحسين حقل الدراسة ، ويتم هذا النمو عن طريق البرامج الرسمية والبرامج غير الرسمية ، وتكون هذه البرامج فعالة إذا قامت

على الحوار واستجابت لأهداف المجتمع المحلى ، ويجب أن تدعم البرامج الرسمية البرامج الأخرى غير الرسمية . ويشكو بعض المديرين والمشرفين من أنهم لا يجدون الوقت لتطوير المعلمين ، ولكن المدير الفعال هو الذى يستغل أى وقت توافر لديه من أجل تطوير هؤلاء المعلمين ، حيث يمكنه أن يعمل مع مجموعات صغيرة من المعلمين أو في اجتماعات مجلس القسم حيث يشارك المدير المعلمين فى الأفكار ، ويناقشون جميعا القضايا التربوية الجارية وينهمكون فى البحث عن حلول للمشاكل الوقتية التى تصادفهم.

ومن أهم وسائل تطوير المعلم مايلى :

١ – الملاحظة غير الرسمية :

تكون الملاحظة غير الرسمية مختصرة ، وهى عبارة عن زيارات غير معلنة وتستمر من ٥ – ١٥ دقيقة ، ويسميها البعض بالمرور ، ويسميها البعض الآخر " الإدارة عن طريق التجول ".

وتحقق هذه الملاحظة أهدافا عديدة ، منها :

أ - أنها طريقة مفيدة لكل من المدير والمشرف ، حيث تمكنهما أن يكونا أكثر رؤية وأقل ارتباطا بمكاتبهم ، الأمر الذى يقلل من العزلة التى يحس بها أغلب المعلمين.

ب - أنها تقدم فرصا ممتازة لكل من المدير والمشرف لكى يساندا ويدعما التدريس الجيد.

جـ - أنها تمد المسئولين ببيانات مفيدة عن كيفية تطبيق المنهج ، كما تنبههم إلى المشكلات المنهجية والتدريسية قبل أن تتفاقم.

ولعل من أهم التوجيهات فى مجال الملاحظة غير الرسمية ما يلى :

أ - لابد أن يكون المعلم على علم بأن المعلومات التى تجمع عن طريق الملاحظة غير الرسمية تحسب أو لا تحسب فى عملية تقييم المعلم.

ب - لابد أن تكون الملاحظات غير الرسمية عديدة ومتكررة ، فقد أقر المديرون والمشرفون الأكفاء أنهم يحاولون أن تكون الملاحظات غير الرسمية عديدة ومكررة.

ج - لابد من التغذية الراجعة . فإذا انشرح الملاحظ بما رأى فعليه أن يبتسم أو يظهر إشارة تدل على سعادته ، أو يكتب عبارة تدل على ذلك ، وإذا وجد الملاحظ بعض الأشياء التى تحتاج تعديل ، فيمكنه أن يعقد اجتماعا مختصرا تناقش فيه ببساطة مثل هذه الأشياء وجها لوجه مع المعلم.

د - لابد أن ينوع الملاحظون تركيزهم أو اهتمامهم . ففى بعض الأشياء قد يكون مفيدا أن يركز على المحتوى من حيث الصعوبة أو السهولة ، وفى بعض الأحيان الأخرى تتم ملاحظة سرعة تنفيذ المنهج.

٢ - تقدير المعدلات: يعرف التقدير بأنه عملية إجراء تقييم بنائى ونهائى لأداء المعلم بهدف اتخاذ قرارات إدارية بشأنه . ويتطلب التقدير جهدا ووقتا كبيرين من الإداريين والمشرفين إذا أريد له أن يتم بدقة ، ويأخذ وقتا أكثر مما يستحق فى حالة تقدير أداء المعلمين المعروف عنهم أنهم يتميزون فى الأداء بدرجة عالية.